

تفريغ الدرس السادس من دروس التعليق على "رياض الصالحين" للحافظ
النووي

—رحمه الله تعالى—. (تتمة باب التوبة، بداية باب الصبر) [من الحديث 22 إلى
الحديث 28].

قال الشيخ أبو حذيفة محمود الشيخ -حفظه الله تعالى-:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

فهذا إخوتي -بارك الله فيكم- المجلس السادس من مجالس شرح "رياض
الصالحين" للحافظ النووي -رحمه الله تعالى-، ولا زلنا في التوبة، والحديث الثاني
والعشرون.

قال المؤلف -رحمه الله-:

22- وَعَنْ أَبِي نُجَيْدٍ - بَضِمَ النَّوْنُ وَفَتْحَ الْجِيمُ - عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ الْخَزَاعِيِّ -رَضِيَ
اللهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ أَمْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّوْنِ، فَقَالَتْ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنِ إِلَيْهَا، فَإِذَا
وَضَعْتَ فَأَتِنِي» فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ
صَلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ؟ قَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً

لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوُصِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ
بِنَفْسِهَا اللَّهُ - عز وجل؟!». رَوَاهُ مُسْلِمٌ¹.

هذا الحديث أيضا: يبين عظيم التوبة وأثره على الناس على صاحبه، هذه المرأة تشجعت عندما وقعت في المعصية الكبيرة من كبائر الذنوب، والفاحشة العظيمة، وحبلت من هذه الفاحشة وأرادت أن تتطهر وتتوب إلى الله - سبحانه وتعالى - توبة صادقة؛ توبة نصوحة، جاءت نادمة، أفلحت عن ذنبها، نادمة على ما فعلت، عازمة على ألا تعود، تريد أن تتطهر من ذنبها، تريد أن يقيم رسول الله ﷺ الحجة عليها (فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا) أي: تريد ذلك، الزنا، عندما استفصل منها النبي ﷺ ذكرت ما هو الذي وقعت فيه، وتريد أن تقيمه على نفسها، وهذا من توبتها، هل يفضل للمسلم أن يفعل ذلك إذا وقع بفاحشة، أو وقع بكبيرة من كبائر الذنوب التي تستوجب حدا كالسرقة أو الزنا، هنا ذهب العلماء وقالوا: يجوز أن يستتر على نفسه، ويتوب بينه وبين الله - سبحانه وتعالى -، والله يتوب على من يشاء، وأمره إلى الله، ومن باب الأفضل له كما فعلت هذه المرأة أن يتطهر إذا كان هنالك أمام يقيم الحد، ولكن إذا ما كان هنالك أمام يقيم الحد، أو كان هنالك أمام ولكن لا يخبر الأمام، بل يأتي ويخبر الناس أنه وقع [في المعصية]، من باب الندم أنه فعل هذا، لا ينبغي، بل ينبغي أن يستتر على نفسه، والنبي ﷺ يقول: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَاْفَى إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ" أو "إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ"² بالنصب، فعليه أن يستتر نفسه ولا يفضح نفسه، فقد ستره الله - سبحانه وتعالى -، والأدهى والأخطر من هذا كله: أن يصبح ويفتخر بفعله للفاحشة، يخبر الناس افتخارا أنه فعل كذا وكذا، نسأل الله السلامة، فهنا فيها مسائل: أنه يجوز له أن يسكت إذا أراد أن يستتر الأمر بينه وبين نفسه، ويجوز له أن يرفع أمر نفسه إلى الحاكم ليقوم الحد عليه، كما فعلت هذه المرأة التي تابت توبة، حتى إن عمر استنكر على النبي ﷺ أنه صلى عليها، فقال له النبي ﷺ: (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوُصِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا اللَّهُ - عز وجل؟!) قدمت نفسها، تطهيرا لنفسها، قدمت نفسها لله - سبحانه وتعالى -.

في هذا الحديث كذلك: يوجد فوائد أخرى غير الذي ذكرت، فيرجع فيها إلى الأبواب الفقهية، من طريقة الرجم والقتل، لكن هنا مسألة الله سبحانه الله لا بد أن أذكرها وهو أنه يتنطع أو يخرج الكثير من الذين ينكرون السنة كعلمانيين أو غيرهم، ويطعنون في دين الله - سبحانه وتعالى - ويقولون كيف تتكلمون عن الرجم، ولا يوجد آية في كتاب الله تتحدث عن الرجم، فما الرد عليهم؟ الرد عليهم أولا: نحن نأخذ الأمر، أو نأخذ الخبر، أو الحكم من الكتاب أو من السنة، وهذا موجود في كلام الله - سبحانه وتعالى -، طَأْأَأُ كَجَكْ كَخَكَا كَمَلْ جَلْ جَلْ خَلْ مَلْ مَجْهً [النساء]

1 (1696).

2 البخاري: 6069.

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ مِنْ دِينِكُمْ يُسْتَعْمَلُوا بِالْكَفَرِ [الحشر]

فالذي أتانا النبي ﷺ من كتاب أو من سنة كله وارد، الكتاب أو ما صح من السنة، فلا فرق عند المسلم بين هذا أو ذاك، فلا يهمننا إن جاء هذا الحكم في كتاب أو جاء في سنة، يهمننا أنه صحيح، فإن ثبت أنه في آية، فلا شك أنه صحيح، وإن جاء في سنة فنبحث عن صحته، بما ذكر لنا العلماء وبالتالي: إذا ثبت فإنه حجة عند المسلمين، هذا ديننا، فلا يهمننا أنه لم يرد في كتاب الله، ومع ذلك معروف عند أهل العلم، أن هذه آية الرجم وردت في كتاب الله في آية، وقد قدر الله أن تنتسخ لحكم عند الله، منها لعل الحكمة هذه تمحيص الناس، الذين سيخرجون في زمان من الأزمنة ينكرون كتاب الله، كما يقول النبي ﷺ في الحديث: "لَا أُفَيِّنُ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرْيَكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ"³، قال النبي ﷺ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ"⁴ هذا دين المسلم، ولا يشغب عليكم، يشغبون في هذه الأشياء أنهم لم يجدوا في كتاب الله، ولماذا لم يجدوا؟ ومن قال لك أنه لا بد أن تجد الكثير من الأحكام لا تجدها في كتاب الله، أعطني أحكام صلاة العصر أربع ركعات، صلاة العشاء أربع ركعات، السنن الرواتب، أشياء كثيرة لا يوجد في كتاب الله تفصيلا لها، ذكرت بالمجمل، ولكن ذكر تفصيلها في السنة هذا ديننا.

قال المؤلف -رحمه الله-:

23 - وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ قَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ⁵.

هذا حال ابن آدم: الطمع ومحبة الدنيا، فلو كان له (وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ) وهذه غريزة في الإنسان أن يكون له واديان (وَلَنْ يَمْلَأَ قَاهُ إِلَّا التُّرَابُ) حتى يموت (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ) وبالتالي: هذا الحديث فيه حث على التوبة، وأن يبحث الإنسان عما يرضي الله - سبحانه وتعالى-، ويتزهد في هذه الدنيا الزائلة.

3 أبو داود: 4605، والترمذي: 2663، وابن ماجه: 12-12.

4 أبو داود: 3804.

5 البخاري: 6436، ومسلم: 1049.

قال المؤلف -رحمه الله-:

24- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «يَضْحَكُ اللهُ -سبحانه وتعالى- إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسَلِّمَ فَيُسْتَشْهَدُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا أيضا حديث: فيه بيان فضل التوبة، وهذا القاتل الذي قتل مؤمنا في معركة، في غزوة من الغزوات، أو معركة من المعارك، ومات بسببه، ثم بعد ذلك دخل الإسلام وتاب، أنظر فالله -سبحانه وتعالى-، ماذا يفعل به؟ إذا هذا الثاني قتل في سبيل الله، أو دخل الجنة بعد توبته وعمله الصالح، سيلتقي القاتل والمقتول، ولكن كلاهما من أهل الجنة، وكلاهما لا يوجد بينهما غل، ولا في صدورهما غل على بعضيهما، كما تَأْتِي أَسْخَسْخَسْ صَخَصْ صَخَصْ [الحجر] هم إخوان، مع أن هذا قتل هذا، وهذا سفك دم هذا، وهذا دمه مسفوك، وقد فقد حياته بسببه، ولكن أنظر ما فعلت التوبة؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- جعل هذا يحب هذا يوم القيامة، لذلك يضحك الله؛ يضحك الله من حال هذين الرجلين، هو حاقد عليه في الدنيا، ويريد أن يقتله، هذا قتل هذا، وكلاهما في النهاية كانا إخوانا، فهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- من عظيم أثر التوبة.

وفي هذا الحديث: إثبات صفة الضحك لله -سبحانه وتعالى-، كيف يضحك الله؟ الله -سبحانه وتعالى- أخبرنا أنه يضحك، ولم يخبرنا كيف يضحك، ولا تعتقد أن ضحك الله مثل ضحك المخلوق، فهذا تشبيه، ولا يجوز أن نشبه أو نمثل، بل علينا أن ننشئ من غير تعطيل، فنثبت لله ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال، خلافا للمعطلة الذين ظنوا أن الضحك لا يكون إلا للمخلوق، فعندما جاءت آيات، أو أحاديث في صفة من الصفات، مثل الضحك جاء في هذا الحديث وفي غيره، فهنا قالوا: لا نعقل، وانظر إلى قول: نعقل، أي: أن مستندهم العقل، لا نعقل الضحك، إلا أن يكون في مخلوق، فننزه الله عن هذه الصفات الناقصة، هذا ظنهم، ونقول لهم: أنتم أنكرتم ظاهر اللفظ، وهذا معروف، والله أعلم بحاله، فقد وصفنا به رسول الله ﷺ، الذي أخبر الله عن نفسه من خلال جبريل عليه السلام أنه يضحك، ولم يخبرنا كيف يضحك، فنثبت لله -سبحانه

وتعالى- صفة الضحك على الذي يليق به -سبحانه وتعالى- من وجه الكمال، ولا نثبتته على وجه النقص، ولا ننفية بحجة التنزيه، والله تعالى أعلم، هذا آخر حديث من باب التوبة، هذا الحديث الرابع والعشرون.

الآن ندخل -إن شاء الله تعالى- في **(باب الصبر:)**

الصبر لغة: هو الحبس، أن تحبس نفسك، ويقولون: فلان مات صبرا، أي: مات بالسجن، أو مات محبوسا.

وشرعا: يكون الصبر، أما على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، وأما الصبر عن معصية الله -سبحانه وتعالى-، وأما الصبر على أقدار الله -سبحانه وتعالى-.

(قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} [آل عمران: 200]) اصبروا عن معصية الله، وصابروا على طاعته، هذا الفرق بين اصبروا وصابروا، فالصبر يكون عن المعصية، والطاعة تحتاج إلى مصابرة؛ لأنها طلب يعني: هنالك أناس لا يشرب الخمر، ليس لأنه صابر عنها، لأنها لم تخطر في باله، لكن الطاعة تحتاج إلى تكليف، فتحتاج إلى مشقة، فاحتاج الإنسان أو المكلف إلى مصابرة، فقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا)**، وقال تعالى: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** [البقرة: 155]) الله -سبحانه وتعالى- جعل هذه الدنيا دار بلاء، فيها البلاء من شتى أنواعه، لربما يكون بلاء خوف، أو بلاء جوع، أو بلاء نقص من الأموال، أو بلاء نقص من الأنفس، أو نقص من الثمرات، كل ذلك قد يحدث على إنسان، يحدث بأحاده، أو يحدث بجميعه، يأتي على الإنسان جوع وخوف ونقص من الأموال، ونقص من الأنفس، ونقص من الثمرات، أو لربما يحدث له واحدة من هذه، فهنا الله -سبحانه وتعالى- قال: **(وَبَشِّرِ**

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10] لأن الصبر طاعة، طاعة عظيمة، والطاعة هذه لها حسنات لمن يعملها لله - سبحانه وتعالى-، و ما قدر هذه الحسنات، أجرها عظيم (بِغَيْرِ حِسَابٍ) فالحسنة بعشر أمثالها أَقْبَى كَأَكْلِ كَمْ كَيْلِيَّ [البقرة]

قال: وَقَالَ تَعَالَى: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} "إن الله مع": هذه معية خاصة، وقد ذكر أهل السنة أن المعية قد تكون معية عامة، كما ثابَّتْ أَنَّا نَمْنِي نِي هَجْ هَم هِي هِي يَحْ يَحْ يَخْ يَمْ يِي يِي ذُرِّيُّنَا نَزَمْنِي نِي تَنَّ [المجادلة] الآية "إلا هو معهم": أي: معهم بعلمه، معهم بإحاطته معهم، معية علم وإحاطة الله - سبحانه تعالى-، ومعية قُدرة، يقدر عليهم، هذه تسمى المعية العامة، هنالك المعية الخاصة، المعية التي تكون لأوليائه وللمؤمنين، وهنا قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} وهذه المعية تسمى معية خاصة، وهذه المعية هي معية التأييد والنصرة لعباده المؤمنين.

قال المؤلف: وَطَأْتُ أَنِي هَجَ هَمَ هِيَ يَجِيحُ يَخِيْمُ [محمد]
قال: (وَالْآيَاتُ فِي الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ).

قال المؤلف -رحمه الله-:

25- وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنَّ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَيقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا». رواه مسلم ⁶.

هذا الحديث أيضا: فيه بيان فضيلة الصبر، يقول النبي ﷺ: (وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ).

* في بداية الحديث قال: **(الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)** سواء كان طهوراً حسياً، أو طهوراً معنوياً، فهو هذا كله شطر الإيمان، نصف الإيمان أن يطهر الإنسان نفسه معنوياً، وما أشبه ذلك، أو يطهر نفسه حسياً بأن يطهر ثيابه، أو يطهر بدنه، يتوضأ من الحدث، أو يغتسل من الحدث الأكبر، كل ذلك من الطُّهور، وهذا الطُّهور هو الذي هو الذي يعطينا الإذن بالصلاة؛ لأنه شرط الصلاة، فهذا الطهور قال النبي ﷺ: **(الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)**.

قال: **(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ)** هذه الحمد لله كلمة عظيمة، لا بد للمسلم أن يذم لسانه على لفظها، دائماً أن يقول: الحمد لله، جاء في حديث رواه ابن ماجه -رحمه الله- أن النبي ﷺ كان يقول بمعنى كلام النبي ﷺ عند النعمة: **"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وعند المصيبة يقول الحمد لله على كل حال"**⁷، فالمؤمن يحمد الله كما سنبين في حديث على كل حال، سواء في النعمة أو في البلاء، وهذا المؤمن يكون حاله في الصبر -بالمناسبة- يكون المؤمن أو الإنسان له أربعة أحوال:

- الحال الأولى: إذا أتاه البلاء يتسخط.
- الحال الثاني: إذا أتاه البلاء يصبر.
- والحال الثالثة: إذا أتاه البلاء يرضى.
- والحال الرابعة: وهي أعلى الدرجات، إذا أتاه البلاء يشكر؛ يكون شاكرًا لله، ليس صابراً فقط، وهذه عظيمة، بل ليس حامداً فقط أو راضياً، بل يكون شاكرًا لله -سبحانه وتعالى- على هذا البلاء، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، ولكنه يشكر الله -سبحانه وتعالى- أن اختار له البلاء دون غيره، اختار له هذا البلاء وثبته عليه؛ فإنه يشكر الله -سبحانه وتعالى-، وكذلك يشكر الله أنه فتح له باب خير كما يذكر العلماء في باب الغيبة، كان يؤتى إلى العلماء يقولون: فلان قد اغتابكم، أو ذكركم بس؛ فإنه يفرح ويذهب ويشكره لأنه فتح له باب حسنات، وقد قال بعض العلماء في أحد علماء هذا الزمان وهو الشيخ ربيع -حفظه الله تعالى- عندما قالوا: أن أكثر الناس يتكلمون فيه، فماذا رد هذا العالم؟ وأظنه الشيخ الشيخ عبدالله الغديان رحمه الله تعالى قال: لعل هذا الرجل -أي: الشيخ ربيع حفظه الله- ليس له الأعمال الكبيرة حتى توصله إلى المراتب العالية، فلربما جعل الله له كلام الناس فيه هو ما يوصله للمراتب الأعلى، والله تعالى أعلم.

فبالتالي: تشكر الله -سبحانه وتعالى- أن يصيبك هذا الخير، وهنالك أناس يشكرون الله أن اختار لهم هذا البلاء دون غيره، وقد سألت بعض المشايخ لا أريد أن أذكرهم من باب أن أنستر عنهم في هذا الأمر، أنه أصابه بلاء معين، وطلبت منه أن يتعالج في رقية شرعية، أو في غيره، قال: لا، أريد أن أبقي على [هذا]؛ فإنني أصبر على

⁷ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. رواه ابن ماجه: 3916.

[هذا]، الحمد لله الذي اختارها الله لي، لا أريد شيئاً آخر هذا، هذا اليوم سبحانه الله، بل حتى يذكر لي يقول: ذكر عن بعض السلف أنه كانت امرأته فاسدة فقالوا له: طلقها. قال: لا، والله أنا أقبل هذا البلاء، لا أريد أن يأتيني بلاء آخر، خلاص أنا أقبل بهذا البلاء، هذه تحتاج إلى فقه حقيقي، وهذه تحتاج إلى مراتب إيمان، نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، فالإنسان يحمد الله على كل شيء.

(والحمد لله تَمَلُّ الميزان) بماذا تملأ الميزان؛ ميزانك يوم القيامة؟ يمتلئ بكثرة الحمد لله، الميزان هذا ميزان حقيقي عند أهل السنة والجماعة، ميزان حقيقي توزن به الأعمال، ويوزن به العامل نفسه، وله كفتان: كفة حسنات وكفة سيئات، كفة الحسنات إذا وضعت فيها الحمد لله فإنها تملأ الميزان، فاحرص عليها.

قال: **(وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ)** كلاهما **(تَمَلُّ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** هذا شك من الراوي هل قال النبي ﷺ "تملأ" أو قال: "تملأ"؟ وهذا من الأمانة: أنه أخطأ وضع الشك، وهذا موجود كثيراً عند العلماء في الروايات، يذكر الكلمة يقول: كذا أو كذا، من باب الشك، وليس من باب أن النبي ﷺ ذكر الكلمتين بل هو الذي شك، وفي بعض الأحيان يكون النبي ﷺ قد ذكر الأمرين، هذا يرجع فيه إلى مظانه، وإلى قرائنه، وقول العلماء فيه.

(سُبْحَانَ اللَّهِ) أي: أنزه الله -سبحانه وتعالى- عن كل ما يشينه، وننزه الله -سبحانه وتعالى- فيه صفاته وأنه له صفات الكمال، وفي أسمائه، وأن الله -سبحانه وتعالى- حكيم في أمره، فأنزهه في أحكامه كلها، أحكام بالغة الحكمة، لا يأتيه الباطل -سبحانه وتعالى-، ولا يوجد عنده حكم متناقض، وحتى وإن رأيت الأمر لا يدخل عقلك، فإن الله -سبحانه وتعالى- منزه عن الخطأ، منزه عن النسيان، فسبحان الله!، إذن: هذه **(سبحان الله)** فيها تنزيهه، ثم تأتي بعد ذلك **(والحمد لله)** فيها تمجيد وتحميد، فاجتمع التنزيه، واجتمع الحمد، فملأت بين السماوات والأرض، هذا معنى قول النبي ﷺ.

قال: **(والصلاة نور)** المصلي فيه نور، فيه نور في قلبه، نور في كلامه، بل ذكر الشيخ العثيمين قال: "حتى ذلك على وجهه" نور على وجه المصلي، فقال: **(والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء)** الصدقة كذلك برهان؛ تبرهن إيمان المؤمن، بماذا؟ بالصدقة، قد الإنسان يستطيع أن يصلي، يستطيع أن يمنع نفسه عن الطعام ويصوم، ولكن المال عزيز، قد يبخل فيه ويشح فيه؛ فإنه برهان على إيمانك أنك توافق أن هذا المال سيبارك فيه في الدنيا، وينمو لك، ويوم القيامة ستجده، فهذا دليل على الإيمان إذا أنفقت؛ لأنك أنت ستنقص من مالك شيئاً، لأنك تعلم أنه سيعود إليك، فهذا دليل إيمان.

قال: **(والصبر ضياء)** ما الفرق بين نور وضياء؟ عندما تأتاهم جحجح جحجهم فحاً [يونس].

قال الشيخ العثيمين عن العلماء: "أن الضياء نور مع حرارة"8؛ لذلك قال: **(الشمس ضياء)** والقمر نور وليس فيه الحرارة، أما الصبر فيحتاج إلى حرارة ومغالبة وتعب، على أن تصبر يحتاج إلى حرارة، فقال النبي ﷺ: **(والصبر ضياء)**.

ثم قال: **(والقرآن حجة لك أو عليك)** نعم، القرآن حفظه، أو إنزاله، وعندما تسمع فيه أو تسمع بآياته فصار حجة، هذه الحجة قد [تكون] حجة لك إذا أخذت به، وعملت به، وأحسنت قراءته ولم تهجره، وقد يكون حجة عليك إذا تركته وراء ظهرك، ولم تتخذه حكماً، ولم تأتمر بأمره، أو تنتهي بما فيه من نواه، فصار حجة عليك.

(كل الناس يغدو) كل إنسان يخرج عادة من الصباح، هذا هو الأصل، الناس يخرجون في الصباح، هذا يريد زواجا، هذا يريد شراء، هذا يريد السفر **(فكل الناس يغدو)** لكن هنالك أناس يغدون في طاعة الله، وهنالك أناس يغدون في سخط الله، أما الذي يغدو في طاعة الله فبائع نفسه لله، ومنقذها من النار إلى الجنة، وهنالك أناس يغدون في سخط الله، لا يريدون إلا الدنيا، ولا يأبهون بأوامر الله، ولا ينظرون إلى طاعة الله، ولا ينكفون عن معاصي الله، فأولئك حالهم كالذي غدا فأوبق نفسه في النار.

قال: **(كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها)** من النار بطاعته لله - سبحانه وتعالى -، ولزوم أمره **(أو موبقها)** في النار بماذا؟ بأنه لم يأت بأمر الله به، ولم ينته عما نهى الله عنه، ولم يطع النبي ﷺ وأثر الدنيا، فصار حتى طعامه وشرابه صار حراماً عليه، لأن الله - سبحانه وتعالى - يقول: **أَهَىٰ يَجِيحُ يَمِيحُ يَبِيحُ ذُرِّيَّتِي** [الأعراف] أخرجها لعباده.

و**ثَأْتَأُ ثَمْرُزْبِيَّ** أي: ليست للذين كفروا، فقط للمؤمنين، والكافر يأكل في الدنيا، ويوم القيامة يحاسب عليها؛ لأنها محرمة عليه، وإن كان يأكل منها في الدنيا، أما المؤمن فهي خالصة له، فهي خالصة للمؤمنين، **ثَأْتَأُ ثَمْرُزْبِيَّ** برزيم بن بى قي [المائدة] فيما أكلوا، فيما شربوا، فيما لبسوا، وهذا بمفهوم المخالفة: على الكافر جناح إذا أكل وشرب، وهو باق على كفره، فيوم القيامة يحاسب عليه، فهو موبق بغدواه عندما غدا للدنيا، ومن أجل الدنيا، وليس لله، وليس في قلبه لله؛ فإنه قد أوبق نفسه في النار. الشاهد من هذا الحديث: قال النبي ﷺ: **(والصبر ضياء)** يضيء لك طريقك وهذا شيء طيب.

قال المؤلف -رحمه الله-:

26 - وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري -رضي الله عنهما-: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفَذَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْجِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ

يُعْفُهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ⁹.

هذا حديث عظيم: يبين فيه كرم النبي ﷺ، النبي ﷺ كان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة، كان عندما يعطي أصحابه يحفن لهم المال حفنا، ولا يعد عليهم إذا كان الخير كثير، [لا] يَعُدُّ ويعطي، حتى أن بعض الأعراب دخل في الإسلام، جاء فأعطاه النبي ﷺ قدرا كبيرا من الأغنام، قدرا كبيرا قال [ﷺ]: **"(كل هذا لك)"**، فذهب إلى قومه يقول: أسلموا فإن هذا الرجل يعطي عطاء لا يخشى الفاقة) أسلموا: فيه مال، تأخذون المال، ومن هنا يُعطى المؤلفة قلوبهم منها، إذا رأيت أنهم يحبون المال، أو أنه مُعين لهم على الثبات على الإسلام، أو ترجو إسلامهم، فإنك تتألف قلوبهم بأعطائهم المال، فكان النبي ﷺ يعطي ويعطي ويعطي، حتى لا يبقى شيئا، حتى في يوم من الأيام أخذوا عنه ثوبه قال: **"ابقوا لي ثوبي"** الذي هو يرتديه أخذه عنه، كانوا فقراء -رضي الله تعالى عنهم-، فكانوا يريدون أن يأخذوا أي شيء من النبي ﷺ، ومنهم من كان يأخذه يريده في قبره تبركا بذلك، وهذا يجوز، وهذا من محبته للنبي ﷺ.

(فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ) ما كان يبقى عنده ﷺ شيئا، بل والله كان النبي ﷺ يجوع ويضع الحجر على بطنه حتى يسكت جوعه، فهو بشر ﷺ، أما إذا أتاه الخير، فإنه يقول: **"أبشروا"**، حتى جاء في حديث: عندما جاء مال البحرين، الصحابة خرجوا وصاروا يأتون إلى طريق النبي ﷺ يتعرضون له، أي: يريدون أن يسمعوا كلمة: **"تعال خذ مال، تعال خذ من الصدقة التي من الغنائم"** فقال: **لعلكم سمعتم أن فلانا جاء بماء البحرين.**

قالوا: نعم يا رسول الله، يعني: نحن أتينا لهذا. فقال: **"فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ"** لا تخشوا الفقر، لا تخشوا الفقر. يقول النبي ﷺ: **"فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ"** أنا لا أخشى عليكم الفقر، أخشى عليكم بالعكس الدنيا والغنى، وهذا حقيقة واقع، والله كثير من الناس يكون في فقره ملازما للمساجد، لطاعة الله ما عنده مال يخرج يبحث عنه، أو كثرة عمل فيلازم الطاعة، وهذا فيه خير عظيم، وإذا أتاه المال ينشغل بالدنيا، ينشغل عن الصلاة، ينشغل عن أشياء كثيرة، فالخير كله حقيقة فيما أعطاك الله، سواء في الفقر أو في الغنى، ولكن إذا أغناك الله فتحمد الله، ولكن إحذر في المال بلاء، وفيه فتنة.

قال: **(حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْجِرَهُ عَنْكُمْ» [ﷺ] و[رضي الله تعالى عنه.**

قال: **(ومن يستعفف يعفه الله)** من يستعفف عن مال الناس **(يعفه الله)**، يعني: أحد الصحابة، وهزكيم بن جزام، والحديث متفق عليه: كان يسأل النبي ﷺ، فأنكر عليه النبي ﷺ، أو أراد أن يعلمه قال: لا تسأل الناس ما عندهم، أو بمعنى الحديث، حتى أنه قرر بعد هذا الكلام أن لا يسأل أحدا في حياته، لا يسأل أبدا حتى لو كان شيئا له، لا يريده، وكان في زمان أبي بكر تأتي الغنائم، فينادي المهاجرين، وينادي الأنصار،

وينادي حكيم بن حزام ليأخذ حصته من الغنائم، فلا يقبل أن يأخذها، خذ يا رجل، قال: ما أخذ، خلاص النبي ﷺ قال: لا تأخذ، لا تسأل، وأنا ما أريد شيئاً، تزهد في كل شيء، وينادي أبو بكر في الناس: يا أيها الناس، اشهدوا أنني عرضت عليه حصته ولم يقبلها، خلاص ناديته، ولكنه لم يقبل، لاحظ هذا، فهذا الرجل استعفف عن كل شيء، حتى عما كان له، لكن هل يجوز لك في حال الحاجة إذا أتاك الخير أن تأخذه من غير مسألة؟ يجوز، وفي ذلك لنا حديث النبي ﷺ عندما جاء لعمر -رضي الله عنه- شيئاً، تعفف عنه، لا يريد فقال النبي ﷺ: "خذه"، أو في حديث قال: "تموله، خذه فما جاءك شيء من غير مسألة فتموله"، لا بأس، طالما أنك أنت لم تسأل، فلان أعطاك خذه ما المشكلة؟ والنبي ﷺ كان يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة، فخذها ولكن لا تأخذ عن شيء بمسألة، لا تسأل الناس ما عندهم، يأتي الإنسان يوم القيامة من كثرة سؤاله الناس "وليس في وجهه مزرعة لحم" من كثرة ما كان يسأل الناس، فالإنسان يستغن ويستعفف، والذي يستعفف يعطيه الله -سبحانه وتعالى- جزاء استغفاه بأن يعفه، قد يكون الأمر في بعض الأحيان صعب، ولكن من يصبر نفسه يصبره الله، لذلك قال: (وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ) التصبر يحتاج إلى مشاققة، إلى تعب، هذا حقيقة واقع، في الصبر على الطاعة، في بداية الأمر، تكون الطاعة عليك صعبة، لكن لا تمضي أيام قليلة، أو فترة قليلة إلا وتصبح أسهل شيء عليك، وكذلك عند الصيام، أول يوم يكون صعباً، ثم تمضي الأيام ولا تشعر به، وأي طاعة كذلك، من يصبر نفسه عن المعصية، قد يكون إنسان مدمن على النظر إلى النساء، مدمن يظن في نفسه لا يستطيع [ترك النظر] والشيطان يتلاعب فيه، لو أنه يصبر نفسه عن هذه المعصية، يوم يومين ثلاثة، بعد ذلك يتركها، وقد سئل الشيخ العباد -وكنت في ذلك المجلس والحمد لله في المدينة- أحدهم سأل سؤالاً قال: أنه مدمن للعادة السرية، ولا يعرف كيف يفعل؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله- بجواب طيب طويل، ولكن في جملة ما قال، قال: كن شجاعاً وارك هذا.

كيف؟ يعني: تحتاج إلى شجاعة، فقط أنت أمسك نفسك عن الحرام، أمسك نفسك يكون في البداية قد يكون صعباً عليك، ولكن ما يلبث أن يصبح الأمر من أسهل الأشياء عليك، هو ابتلاء الله -سبحانه وتعالى- ينظر إليك، فإن تصبر الله -سبحانه وتعالى- يمدك (الصبر ضياء) كما في الحديث الذي قبله (وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ) والغنى من الله -سبحانه وتعالى- (يُغْنِيهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) وهذا الشاهد: الصبر (وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) أعظم عطاء، وأوسع عطاء ما هو؟ الصبر.

آخر حديث اليوم، نأخذه في باب الصبر، ونكمل في المرات القادمة، قال:

27 - وعن أبي يحيى صهيب بن سنان -رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم¹⁰.

(وعن أبي يحيى صهيب بن سنان -) الرُّومِي (-رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا» عجباً لمن؟ قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» نعم، (عجباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ) أي: ليس للكافر هذا الأمر؛ لأن الكافر ليس له صبر عن معاصي، أو صبر على البلاء، بل إن من عادته التسخط، ومن هنا نهينا عن التسخط عند البلاء، بل علينا أن نرضى ونسلم، ونشكر ونحمد الله - سبحانه وتعالى-، زيادة في الخير، ولكن الذي يتسخط بقلبه أو يتسخط بلسانه يقول: ما هذا، أو يندب حظه، أو يندب الميث نعيًا من باب التسخط، وقد يجوز النعي في أصله، وقد نعت فاطمة النبي ﷺ عندما توفي، عندما كان يتألم ويتوجع، وكان أشد الناس ابتلاءً تقول: "واكرب أبتاه" فقال النبي ﷺ: "لا كرب على أبيك بعد اليوم" هذا الحديث الذي سنأخذه بعده -إن شاء الله تعالى-، سأذكره أفضل، فعندما مات قالت فاطمة: "يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نُنْعَاهُ!" فقالت تنعى النبي، هذا نعي جائز، ليس فيه تحسر أو تسخط على أقدار الله، ولكنه حزن، وهذا جائز، ويجوز أن تذكر الميث بشيء من ذكر محاسنه، ولكن ليس الأمر فيه مبالغة فيصبح من باب الندب، وكذلك لا يجوز التسخط من باب شق الجيوب، أو حلق الرأس أو الضرب؛ ضرب

الوجه، وقد نهى النبي ﷺ؛ نهى عن هذا كله فالمؤمن يصبر، وهذا عجا لأمر المؤمن بخلاف الكافر.

قال: **(إن أمره كله خير)** لماذا؟ فهو بين حالين: إما أن تأتيه النعمة، أو يأتيه البلاء، ففي النعمة يشكر ويحمد الله، والله - سبحانه وتعالى - يقول: **الْأَبْيُّ إِبْرَاهِيمَ** وفي البلاء يصبر ويقول: الحمد لله، فعجا له على كل حال؛ فإنه يؤجر على كل حال، يؤجر على شكره، ويؤجر على صبره، يؤجر على صبره في الشدائد، ويؤجر على شكره في النعم.

قال: **(وَلَيْسَ ذَلِكَ لَأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)** والله - سبحانه وتعالى - خلقنا في هذه الدنيا، وحالنا لا يخرج عن حالين: حال سراء وحال ضراء، قد تفرح اليوم، وغداً تحزن ولا بد من ذلك، فلا يأتي أحد بعد ذلك يقول: لماذا الله خلقنا؟ وهذا ما من الشبه التي يلقيها الملاحدة على الشباب، أو الصغار، أو حدثاء الاستقامة في قولهم: لماذا خلقنا ويعذبنا في الدنيا وهنالك زلازل وموت وقتل؟ الله - سبحانه وتعالى - جعل هذا، لله الأمر من قبل ومن بعد، **ثُمَّ أَتَاهُ غَمٌّ فَجَفَذَ فَمَقْدَحُهُ** [الأنبياء] الله - سبحانه وتعالى -، أليس الله - سبحانه وتعالى - الحكيم؟ بلى، أليس الله - سبحانه وتعالى - الخبير؟ أليس الله - سبحانه وتعالى - اللطيف الرحيم، أليس الله - سبحانه وتعالى - العليم القادر على كل شيء؟ يقدر على أن يمنع عنك جميع البلاءات، ولكنه بحكمته يريدك أن تتبلى، وبحكمته يريدك أن تأتيك البلاءات والمصائب، ويربى شكرك لهذا، أو صبرك على هذا، وماذا تقول في هذا؟ ويوم القيامة هنالك جنة أو نار، من رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، أما المؤمن ف**(إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)**. **رواه مسلم.**

ونتهي آخر الحديث، قد ذكرت شيئاً منه قبل قليل، قال:

28- وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَآكِرَبَ أَبْنَاهُ. فَقَالَ: **«لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»**. فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبْنَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبْنَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبْنَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْنُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الثَّرَابَ؟! **رواه البخاري** 11.

(وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ) هذا في مرض موته (جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ) الألم والمرض، كان يوعك كما يوعك الرجلان، كان يتألم ويتألم ﷺ، فهو بشر يتألم ويجوع ويحزن ويضحك ويفرح، كل شيء، وهذا فيه رد على من؟ رد على الغلاة من القبوريين ومن شابههم، أنهم غلوا في النبي ﷺ فأعطوه من صفات

الربوبية، النبي بشر، يأكل ويشرب ويجوع ويمرض ويأتيه كل شيء، ويموت ويدفن كما حال بقية البشر، ولا يخرج عن ذلك، هو النبي ﷺ يفرق عن البشر بأنه رسول من رب العالمين، وهو ونحن مأمورون بطاعته، وقد جاء مبلغا نذيرا وبشيرا.

قال (فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَكَرَبَ أَبَتَاهُ) حزينه لأمره فقال لها النبي ﷺ: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» وهذا سبحان الله، يجعل الإنسان عندما يمرض، ويرى قريبا، أو حبيبا له، أبا، أو أخا، أو زوجا، أو يراه يمرض أمامه، ويتألم ويقرب من الموت، أو حتى وإن لم يقترب الموت، هذا المرض قد يتعبك ويحزنك، عليه كرب شديد، ولكن إعلم أنك بعد ذلك المرض فيه أجر عظيم، فيه تكفير الخطايا، فيه رفعة الدرجات، النبي ﷺ قال: («لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ») هذه ستمضي، هذا المرض سيزول، وبعد ذلك سيموت النبي ﷺ وهو في الفردوس الأعلى، له المقام المحمود ﷺ، وله الدرجة العالية كما في الحديث:

"اللهم رب هذه الدَّعْوَةِ الثَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ"12، فالنبي ﷺ له درجة ينالها أحد، قال: "سَلُّوا لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَرْتَبَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ".

فالنبي ﷺ يقول لها: («لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ») إذا مات بعد هذا المرض، فعليك أن تفرحي بذلك، أو تفرحين بك، أو تصبري على ذلك، (فلما مات) وهو بشر يموت، وهو يموت قالت: (قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ مَاوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نُنْعَاهُ!) نعتة إلى جبريل؛ لأنه سيتوقف الوحي، فجاءت بهذا اللفظ بالنعي لجبريل، أي: أنه سيتوقف الوحي، وأيضا: كان من الخير العظيم، نزول جبريل -عليه السلام-، توقف الوحي بموت النبي ﷺ.

قال الراوي: (فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ) تخاطب الصحابة (أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟! . رواه البخاري).

هل تطيب أنفسنا أن نحثو على رسول الله ﷺ التُّرَابَ؟ هذا السؤال للصحابة؟ الشيخ العثيمين يجيب، ويقول: نعم، يطيب أن نضع النبي ﷺ في التراب، فهذا من شرع الله -سبحانه وتعالى-، ونحن مأمورون باتِّباع شرع الله -سبحانه وتعالى-، وهذا يحبه النبي، إذن: طابت أنفسنا بوضعه في التراب.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.